

الافتتاحية :

عَوْدَةُ إلى الدرعية المدينة الرمز

قال أبو عبد الرحمن: جاء اختيار الدرعية اسماً للمجلة عن تأمل فكري علمي؛ ذلك أن الدرعية المدينة الرمز معاً طمست قروناً مظلمة من الجهل والخرافة والبدع والتجزئة والشحناء وسفك الدماء والأمية والعامية، والتحمت التحاماً عبقرياً بالقرون الثلاثة الأولى الممدوحة سلوكاً وشجاعة وعبادة وعلماً سلفياً لا شائبة فيه في الفقه والعقيدة وإن كان النضج في الحديث والأصول واللغة والأدب لم يظهر إلا بالله ثم بجهود الملك عبدالعزيز رحمه الله، وكم قلت ولا أزال أقول: لولا الله ثم عبدالعزيز لبقينا على حرفة آبائنا .. وهذا الفارس المثلّم طيّب الله ثراه حقّق أول وأعظم وحدة تاريخية في جزيرة العرب في وقت التلمّظ بالقومية والوحدة؛ إذن مجلة الدرعية التحام بكيان أمتنا العربية والإسلامية في آمالها وآلامها على مدى التاريخ؛ لأن الدرعية المجلة هي الدرعية الرمز.. وهذا العدد الخاص من المجلة عن مدينة الدرعية عرفان لتاريخها المجيد ولدولتها الرائدة ودعوتها الإصلاحية المباركة.

(١) قال أبو عبد الرحمن: بعض هذه المادة نشر بهذه المجلة في العددين المدمجين ٢١ - ٢٢،

ص ٧ - ٣٩.

أبو عبد الرحمن ابن
عقيل الظاهري*

• محمد بن عمر
ابن عبد الرحمن
العقيل .

- ماجستير من
المعهد العالي
للقضاء في
التفسير، وله
مشاركات كثيرة
في التأليف
والمقالة والإذاعة،
وعضو مجمع
اللغة العربية
بالقاهرة، ورئيس
الشؤون الثقافية
بجمعية الثقافة
والفنون، ورئيس
تحرير مجلة
التوباد، وأول
رئيس للنادي
الأدبي بالرياض.
- رئيس تحرير
مجلة الدرعية
وصاحب
امتيازها.



٣

ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ

مارس - يونيو ٢٠١٠ م

الدرعية

السنة الثالثة عشرة

العددان: التاسع والأربعون والخمسون



وَأَمَّا مَادَّةُ الدَّرْعِيَّةِ فَقَدْ قَالَ عَنْهَا الْإِمَامُ ابْنُ فَارَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «الدَّالُّ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ مِنَ اللِّبَاسِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ تَشْبِيهًا؛ فَالدَّرْعُ دَرَعُ الْحَدِيدِ مُؤَنَّثَةٌ، وَالْجَمْعُ دُرُوعٌ وَأَدْرَاعٌ .. وَدَرَعُ الْمَرْأَةِ قَمِيصُهَا مَذَكَّرٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ .. ثُمَّ يُقَالُ: شَاةٌ دَرَعَاءٌ، وَهِيَ الَّتِي اسْوَدَّ رَأْسُهَا وَابْيَضَّ سَائِرُهَا، وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّ بَيَاضَ سَائِرِ بَدَنِهَا كَدَرَعٍ لَهَا قَدْ لَبَسَتْهُ، وَمِنْهُ اللَّيَالِي الدَّرَعُ، وَهِيَ ثَلَاثُ تَسْوَدٍّ أَوَائِلُهَا، وَيَبْيَضُّ سَائِرُهَا .. شُبِّهَتْ بِالشَّاةِ الدَّرَعَاءِ؛ فَهَذَا مَشَبَّهُهُ بِمِثْلِهِ بغيره .. وَمِمَّا شَذَّ عَنْ الْبَابِ الْإِنْدَرَاعُ وَهُوَ التَّقَدُّمُ فِي السَّيْرِ .. قَالَ: أَمَامَ الْخَيْلِ تَنْدَرَعُ أَنْدَرَاعًا^(١).

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: «الدَّرْعُ دَرَعُ الْمَرْأَةِ مَذَكَّرٌ، وَدَرَعُ الْحَدِيدِ تَوْثَنٌ، وَتَصْغِيرُهُمَا مَعًا دُرَيْعٌ بغير هاء .. ابْنُ السَّكَيْتِ: هِيَ دَرَعُ الْحَدِيدِ، وَالْجَمْعُ الْقَلِيلُ أَدْرَعٌ وَأَدْرَاعٌ؛ فَإِذَا كَثُرَتْ فِيهِ الدُّرُوعُ، وَهُوَ دَرَعُ الْمَرْأَةِ لَقَمِيصُهَا، وَجَمْعُهُ أَدْرَاعٌ، وَرَجُلٌ دَارِعٌ عَلَيْهِ دَرَعٌ.

وَقَالَ اللَّيْثُ: أَدْرَعُ الرَّجُلُ وَتَدْرَعُ إِذَا لَبَسَ الدَّرْعَ، وَالدَّرَاعَةُ ضَرْبٌ . مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي تَلْبَسُ، وَالْمَدْرَعَةُ ضَرْبٌ آخَرٌ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ صُوفٍ .. فَارْقُوا بَيْنَ أَسْمَاءِ الدَّرَعِ وَالدَّرَاعَةِ وَالْمَدْرَعَةِ؛ لِاخْتِلَافِهَا فِي الصَّنْعَةِ؛ إِرَادَةً لِلْإِيْمَاءِ فِي الْمَنْطِقِ .. قَالَ: وَيُقَالُ: لَصِفَةِ الرَّجُلِ إِذَا بَدَأَ مِنْهَا رَأْسُهَا الْوَاسِطُ، وَالْآخِرَةُ مَدْرَعَةٌ .. وَأَبُو عُبَيْدٍ: عَنْ أَبِي زَيْدٍ فِي شِيَاتِ الْغَنَمِ مِنَ الضَّأْنِ: إِذَا اسْوَدَّتِ الْعُنُقُ مِنَ النِّعْجَةِ فَهِيَ دَرَعَاءٌ .

وَقَالَ اللَّيْثُ: الدَّرَعُ فِي الشَّاةِ بَيَاضٌ فِي صَدْرِهَا وَنَحْرِهَا، وَسَوَادٌ فِي الْفَخْذِ .. قَالَ: وَاللَّيَالِي الدَّرَعُ هِيَ الَّتِي يَطْلُعُ الْقَمَرُ فِيهَا عِنْدَ وَجْهِ الصَّبْحِ، وَسَائِرُهَا أَسْوَدٌ مَظْلَمٌ .. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: شَاةٌ دَرَعَاءٌ مُخْتَلِفَةُ اللَّوْنِ .. وَقَالَ ابْنُ شَمِيلٍ الدَّرَعَاءُ: السَّوْدَاءُ غَيْرُ أَنَّ عُنُقَهَا أَبْيَضٌ، وَالْحَمْرَاءُ وَعُنُقُهَا أَبْيَضٌ، فَتِلْكَ الدَّرَعَاءُ .. قَالَ: وَإِنْ أَبْيَضَ رَأْسُهَا مَعَ عُنُقِهَا فَهِيَ دَرَعَاءٌ أَيْضًا .. قُلْتُ: وَالْقَوْلُ مَا قَالَ أَبُو زَيْدٍ: سَمِيَتْ دَرَعَاءٌ إِذَا أَسْوَدَّ مَقْدَمُهَا تَشْبِيهًا

(١) مَقَائِيسُ الْلُفَّةِ، ص ٣٥٢.

باليالي الدُّرع، وهي ليلة ست عشرة، وسبع عشرة، وثمان عشرة .. اسودت أوائلها وابيض سائرهما؛ فسميت درعاً.. لم يختلف فيها قول الأصمعي، وأبي زيد، وابن شميل.. وأخبرني المنذري: عن المبرد: عن الرياشي: عن الأصمعي: أنه قال في ليالي الشهر بعد الليالي البيض: وثلاث درع .. وكذلك قال أبو عبيد .. غير أنه قال: القياس دُرْع جمع درعاء .. فقال أبو الهيثم فيما أفادني عنه المنذري: ثلاث درع، وثلاث ظلم جمع درعة وظلمة لا جمع درعاء وظلماء .. قلت: هذا صحيح، وهو القياس .. وروى أبو حاتم: عن أبي عبيدة أنه قال: الليالي الدرع هي السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر .. والبيض الصدور السود الأعجاز من أول الشهر، وكذلك غنم دُرْع للبيض المآخير السود المقاديم، أو السود المآخير البيض المقاديم .

قال: والواحد من الغنم والليالي درعاء، والذكر أدرع .. وقال أبو عبيدة: ولغة أخرى: ليالٍ دُرْع بفتح الراء الواحدة درعة .. قال أبو حاتم: ولم أسمع ذلك من غير أبي عبيدة .. ثعلب: عن ابن الأعرابي: ماء متدرع إذا أكل ما حوله من المرعى، فتباعد قليلاً وهو دون المطلب .. وقال الهجيمي: أدرع القوم ادراعاً، وهم في درعة.. إذا حسر كلَّوهم عن حوالي مياههم، ونحو ذلك قال ابن شميل .. قال: وإذا جاوزت النصف من الشهر فقد ادرع، وأدراعه سواد أوله .. وقال ابن بزرج: يقال للهجين: إنه لمعلهج، وإنه لأدرع .. قال شمر: وقال أبو عبيدة، وابن الأعرابي: يقال: درع في عنقه حبلاً ثم اختنق.

قلت: وأقرني الإيادي لأبي عبيد: عن الأموي: التذريع - بالذال - الخنق، وقد ذرعه إذا خنقه.

قلت: وأما شمر فإنه روى لأبي عبيدة وابن الأعرابي: درع في عنقه حبلاً ثم اختنق.. بالذال.. أبو عبيد: الاندراع التقدم، وأنشد للقطامي: أمام الخيل تدرع اندراعاً قال أبو زيد: ذرعه تذريعاً .. إذا جعلت عنقه ثَنِي ذراعك وعضدك، فخنقته، وهو الصواب ..



وقال غيره: اندراً يفعل كذا وكذا، واندرع .. أي اندفع، وأنشد:

وانددرعت كل علالة عنس تدرع الليل إذا ما يمسي

وحكى شمر عن القزيملي قال: الدرع ثوب تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين وتخيطن فرجيه؛ فذلك الدرع، ودرعت الصبية إذا ألبست الدرع .. ثعلب عن ابن الأعرابي: درع الزرع إذا أكل بعضه .. وقال بعض الأعراب: عشب درع نزع ونمغ وذمط وولخ .. إذا كان غصاً .. وادرع فلان الليل إذا دخل في ظلمته؛ ليسري .. والأصل فيه ادرع كأنه لبس ظلمة الليل فاستتر به^(١).

وقال الزمخشري: «له درع سابغة، ولها درع واسعة، ورجل دارع، وتدرع وادرع، ودرعه غيره، ولبس مدرعة ومدرعاً .. وشاة درعاء سوداء المقدم، وشاء درع .. والدرع في السير تقدم»^(٢).

وقال ابن الأثير: في حديث المعراج: «فإذا نحن بقوم درع أنصافهم بيض، وأنصافهم سود» .. الأدرع من الشاء الذي صدره أسود وسائره أبيض، وجمع الأدرع درع كأحمر وحر، وحكاه أبو عبيد بفتح الراء، ولم يسمع من غيره، وقال: واحدها درعة كغرفة وغرف ..

ومنه قولهم: ليالٍ درع .. أي سود الصدور بيض الأعجاز .. وفي حديث خالد [رضي الله عنه]: «جعل أذراعه واعتده حبساً في سبيل الله .. الأذراع جمع درع، وهي الزردية، وفي حديث أبي رافع: فغلّ نمرّة فدرع مثلها من نار .. أي ألبس عوضها درعاً من نار، ودرع المرأة: قميصها، والدراعة والمدرعة والمدرع واحد، وادرعها إذا لبسها، وقد تكرر ذكرها في الحديث»^(٣).

(١) تهذيب اللغة ٢/٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) أساس البلاغة، ص ١٨٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١١٢ - ١١٤.

وقال الكفوي: «الدرع عن الحلواني: هو ما كان جيبه على الصدر .. والقميص ما كان شقه على الكتف .. قال صاحب المغرب: ولم أجده أنا في كتب اللغة .. ودرع الحديد مؤنث، ودرع المرأة قميصها وهو مذكر»^(١).

قال أبو عبد الرحمن: إذن الأصل في المادة اللباس، وليس هو عموم اللباس، وإنما هو لباس الحرب الحديدي ذو الحلقات، وإنما حُمِلَتْ عليه الألبسة الأخرى تجوُّزاً من جهة التشبيه في السُّتْر، وفي الألوان؛ لأن لابس الدرع تظهر ألوان لباسه من الحلقات، وتتميز المسامير في مجامع الحلق .. والأصل في الأدرع من الماشية اختلاف اللون سواداً وبياضاً، ثم توسعوا في الاستعمال للأدراع بمجاز آخر هو التعميم، فجعلوه لكل ماشية .. والعامية في نجد يُشَبَّهون بالثور في العُنف وقلة الفهم؛ فيقولون: (ثور أدرع، وثور المدار .. أي الدياس؛ لأنه يدور في السُّنْبِل) .. وتقول العامة في نجد لمن اندلقوا في مرعى أو في نعمة: دَرَعُوا .. ويقولون: أدَرَع في النعمة .. ويقولون: دَرَعَت الغنم أو الجراد في الزرع .. ومجازهم في كل ذلك من حَسَرِهم الكلاً والزرع من الأرض، والطعام من الصحن؛ فيكون المحلُّ والحالُ ذا ألوان، وقد مرَّ قول العرب: (ادرع القوم) بمعنى حسر كلَّهم عن حوالي مياههم .. كما أن التقدُّم مأخَذ آخر للمجاز في قول الفصحاء: (اندرع يفعل كذا) بمعنى اندفع .. وهذا الاستعمال عند الفصحاء مجاز من هيئة لابس الدرع في الحرب؛ فهو في مَنَعَة تزيده جَسَارَةً واندفاعاً .. وأمَّا اندراً بالآلف المهموزة بمعنى اندفع فذلك من عادة بعض العرب في إبدال العين ألفاً مهموزة؛ لتقارب المخرج كالسؤال والسعال .. وأما الدرع - بالبدال المهملة - بمعنى الخنق فهو تصحيف للذال المعجمة؛ فاتضح أن معظم مجاز المادة من التشبيه، وأن الأصل مفهوم القوة واللبس من الدرع الحديدي؛ ولهذا امتنَّ الله بهذا الوصف في

قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [سورة الأنبياء / ٨٠] .

قال أبو عبدالرحمن: ولولا النقل التاريخي عن تعليل اسم الدرعية لاحتملت أن اشتقاقها من الحصانة؛ تشبيهاً بحصانة الدروع الحديدية .. إلا أن النقل التاريخي الصحيح عن تعليل للتسمية حادث يُلغِي التعلُّق بالاشتقاق اللغوي، ولا سيما أن الدرعية حادثة التسمية، ولم تكن ذات حصانة بالأسوار والبروج إلا بعد أن كان لها دولة .. قال الأستاذ ابن خميس: «في هذا الحَيِّز من وادي حنيفة فوق مدينة الرياض وتحت مدينة العيينة وما بين المليبيد جنوباً إلى غصيبة شمالاً.. وفي حوالي منتصف القرن التاسع الهجري: بدأ تاريخ الدرعية [من] حيث قدم مانع المريدي من الدرعية جنوب غرب القطيف هو وأسرته إلى ابن عمهم ابن درع صاحب حجر والجزعة؛ فأقطعهم مكان الدرعية اليوم فسميت باسمها: نقلاً للاسم الأول إلى المسمى الثاني؛ وإما نُسِبَتْ إليهم بحكم أنهم من الدروع، وتدرجت في النمو وال عمران حتى عام ١١١٩هـ؛ حيث تحول واقعها، وتطور وضعها، وتهيأت لمستقبل رُشَّحها لحكم الجزيرة، وأهلها لتنفيذ ما كانت تحلم به ومستقبل ما كانت تفكر فيه»^(١).

قال أبو عبدالرحمن: يريد بالتسمية الأولى البلدة التي تُنسَب إليهم في الشرقية، وبالتسمية الثانية الإضافة إلى جدِّهم درع: والواقع أن المدينتين معاً منتسبتان إلى الجد «درع»، وأن رحيلهم إلى الشرقية كان من أراضي جدِّهم درع، وأن التسمية الثانية في الشرقية باسم جدِّهم درع، وأن نزولهم في الدرعية الآن إنما هو عودةٌ إلى أرضهم وليس طروءاً .. وقال الشيخ عبد الله ابن خميس حفظه الله: «الدرعية: اسم منسوب إلى الدروع بطن من بني حنيفة يسكن جلهم وسط وادي حنيفة من اليمامة، وتسكن فصيلة منهم في

(١) الدرعية، ص ٥.

سواد الخط بين الأحساء والقطيف .. قامت لهم قاعدة هنالك سموا قصبتهما الدرعية نسبة إليهم (الدروع)، وقد غمرت الرمال تلك المنطقة، وبقيت من الدرعية هنالك أطلال ومعالم ونتوءات وتلول تُشير إلى قوم كانوا هنا فبانوا، ولا تزال تحمل اسمها إلى اليوم لدى من أبقى لهم طوفان الرمال هنالك ميوّات من هجر البادية أو دارات أنقذها القدر [يعني قدر الله سبحانه] فظلت مرتبعاً ومستراداً .. أما أهل الدرعية تلك فقد استوبأوا منطقتهم، وربما كانت الرمال في ذلك الزمن قد بدأت تغزو هذه المنطقة؛ ففكروا^(١) في أن ينضم الفرع إلى الأصل، وتتحد القوى، وتتواشج القربى، وتكثر حزمة القوم؛ فوفد رئيسهم مانع المريدي إلى رئيس بني عمهم في وادي حنيفة ابن درع فبثه شجته، وأفضى إليه برغبته؛ فأقطعه من ممتلكات قومه ما بين المليبيد إلى غصيبة من وسط وادي حنيفة؛ فهل نقل المهاجرون فيما نقلوا معهم اسم بلدتهم القديمة الدرعية إلى حيث حلوا من وادي حنيفة، فسموا ما بين المليبيد وغصيبة باسم مدينتهم القديمة الدرعية هذا قول محتمل .

والقول الثاني^(٢) : إن هذه النسبة تلاحق هؤلاء الدروع؛ فحيث حلوا سُمي محلهم الدرعية، وبقيت الدرعية الأولى تحمل اسمها إلى اليوم، وقامت درعية جديدة تحمل اسمها باعتبار اسم سكانها منسوبة إليهم .. وسيان كان هذا أو ذاك فالدرعية منسوبة إلى الدروع بطن من بني حنيفة واحدهم درعي والتاء لتأنيث النسبة .. تقع الدرعية - كما قلنا - في منتصف وادي حنيفة شمال غرب الرياض باعتبار قلب^(٣) مدينة الرياض، وإلا فقد زحف عمران مدينة الرياض الآن حتى شمل الدرعية أو كاد^(٤) .

(١) قال أبو عبد الرحمن: هذا على الاحتمال، وهو احتمال أميل إلى الرجحان إن كانت عودة مانع المريدي عن دعوة من أبناء عمه، وليست عن جلاء من فقر أو جذب أو غيرهما .

(٢) قال أبو عبد الرحمن: هذا القول الثاني هو الاحتمال الصحيح، بل اليقين المتعين .

(٣) قال أبو عبد الرحمن: يعني بالنسبة لوسط الرياض عند جعل الدرعية شمال غربه .

(٤) الدرعية ص ٤٥ - ٤٦ .



وقال الأستاذ ابن خميس: ولقد أنطقت نكبة الدرعية لسان الرثاء، فأفاض يقطر دماً،
ويستوقد حرارة ومراة .. يقول [الصواب: قال] أحد أدبائها مؤرخاً نكبتها:

عام به الناس جالوا حسبما جالوا

ونال منا الأعادي فيه ما نالوا

قال الاخلاء أرّخه فقلت لهم

ارخت قالوا بماذا قلت غريبال

قال أبو عبد الرحمن: النسبة إلى الدروع «دروعِيَّة»، والصواب أنها درعِيَّة نسبة إلى
الجد درع .. يكون تاريخها عام ١٢٢٢هـ؛ لأن الغين ألف في الحساب الأبجدي، والراء
مثنان، والباء ٢ والألف ١، واللام ٣٠ .. ثم قال الأستاذ عبد الله: ورثاها الشيخ عبدالعزيز
ابن الشيخ حمد بن ناصر ابن معمر بقصيدة منها:

وكم دمّروا من مربع كان أهلاً

فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا

فأصبحت الأموال فيها نهائيا

وأصبحت الأيتام غرثى وجوفا

وفرّ من الأوطان من كان قاطناً

وفرّق ألف كان مجتمعاً معاً

مضوا وانقضت أيامهم حين خلفوا

ثناء وذكر طيباً قد تضرّعا

وبكيتها بقصيدة أسجل هنا بعضها:

لها غابر من وارف المجد شافع

وعون من الفعل الجميل بدائع

تسامت فمناها المكرمات نواطق
وقالت وأذان الزمان سوامع
أشارت إلى الدنيا بأصبع هيبة
لها الحق ردة والعقيدة وازع
محامد شكري بالمعالي فكلها
مدارُهُ في سمع النهى ومصاقع
فللهدي ما يدعو إليه محمد
يقرره طوراً وطوراً يدافع
ويحميه من عيث الغواة محمد
فيهدي إليه تارة ويقارع
وبينهما قامت على العدل دولة
تشير إليها بالخلود الأصابع
لها السيف من وادي حنيفة مصلت
تناغيه أبطال حماة بواتع
أجادوا فنون الحرب من عهد تُبع
كأن المنايا إن لقوها مراضع
إذا سمعوا العوجا تداعوا كأنهم
ظماء دعتها للورود شرائع^(١)

(١) قال أبو عبد الرحمن: هذا - وهو اتباع لوصف أبو نهية - دليل على أن أهل العوجاء نسبة إلى الدرعية، وأن مدينة الدرعية لا عوجاها على مسار الوادي، وعند بعض العامة: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نهاهم عن غناء العرضة، وأمرهم بقول (لا إله إلا الله)؛ فقالوا: (هذه عوجا يا شيخ) .. أي لا يستقيم بها وزن شعر العرض: فذلك أسطورة.



هم القوم إن يَدْعُ الوفاء فإنهم
ذووه وإن يدع الوغي فطلائع
إلى الراية الخضراء تهفو قلوبهم
لهم معمعان حولها وتدافع
وما حدقوا قرع الطبول تدُّها
ولكن إلى الهيجا تهيج المقارع



وحالت أمور واستحالت مباحج
وللدهر في دنيا الأنام فجائع
أما هنا قد كان عز ودولة
ومجد يسامي هامة النجم فارع
وأودى فأما ساكنوه فغُودروا
رميماً لهم تحت التراب مضاجع
وأما الحصون الفارعات فإنها
طلول تهيج الذكريات خواشع
تصابي وليست للصبا بأليفة
وتخضب منها أشمطاً فيمانع
وترنو إلى الماضي بعين أسيفة
لعل لئاليها الرغاب رواجع



ومن مقطع في ملحمة عيد الرياض يقول:

قضي الأمر فالأمير أسير

وسماء الدرعية الطلق واجم

سيق للقصف أنسر كاسرات

في حوار الجوزاء كانت حوائم

باقية من شباب آل سعود

صفوة من لجين تلك المناجم

منهل الجود يوم بذل العطايا

شرف السيف يوم تُحمى الجماجم

وتمادى الفساد بعد كمون

فالمجاني مباحة للمغانم

لا يخيف القطعان طلس ذئاب

بل يخيف النعاج طلس أوادم

أين عهد أبو الشوارب يحميه

فترعى مع النمرور النعائم^(١)

هزل الدهر فاعتلى ابن مشاري

سدة الحكم في الزمان الآزم

سدة من رقائق الغيم أوهى

ومن الثلج تحت وطء المناسم

(١) قال أبو عبد الرحمن: المراد الإمام سعود بن الإمام عبدالعزيز الأول رحمه الله .. كان يُلقَّب بأبي شويربات.



ومن قصيدة لي تناولت الدرعية وتاريخها ونكبتها:

فلله من لطف أتيح لأهلها
تبناه من آل السعود أماجِد^(١)
لندن رَفَعَ الشيخ الوقور نداءه
بأنِّي للدين الحنيف مجدّد
فأزّره آل سعود ولم ينوا
لإعلاء دين الله أبلوا وشيدوا
فأرسوا على أرض الجزيرة دولة
يحوط حماها مصحف ومهند
فمن ههنا سادوا ومن ههنا علوا
ومن ههنا تاج العلى كان يُعقد
ومن ههنا شوس الملوك تتابعوا
إذا مات منهم أصيد قام أصيد
ومن ههنا تغزو الجيوش جحافلأ
فكم أتهموا في كل صقع وأنجدوا
ومن ههنا تعلّم الناس دينهم
نقياً كما أملاه من قبل أحمد
يروحون أفواجاً إليه كأنما
لهم فيه من شطآن دجلة مورد

(١) قال أبو عبد الرحمن: حسب الصنعة العروضية يستحبون مثل (مُجَدِّدٌ) بدلاً من (أماجِد).

فعاد إلى الإسلام سابق مجده
ولم يبق من يعثو بظلم ويفسد
فساء دعاة البغي من كل أرعن
له سالف في مرتع الظلم أسود
فجردها تنوء بالبغي حَمْلَةً
كان لها ثأراً على الدين يقصد
فكانت لنا قرحاً أصبنا برزئه
ولا بدع فينا قد أصيب محمد
ولا غرو فالتاريخ يُرجع نفسه
وكلّ بعيد سوف يأتي به الغد
فإن مكثت يوماً طلولاً دوارساً
صدى البوم في ساحاتها يتردد
فإن لها في مسبح النجم وثبة
تطالبها بالعود والعود أحمد
ورثاها أيضاً أحد أبنائها ممن شهد النكبة في قلب الدرعية وذاق حرارتها ومرارتها،
وصوّر الفاجعة كما شاهدها الشاعر الشعبي محمد أبو نهية، فقد قالها سنة ١٢٢٣ هـ .. قال:
سهرت وكل العالمين هجيع
بتغريد ورق بالغصون سجييع
من الشوق إلى قال الغني هز رأسه
ومن الغنى يشتاق كل وليع^(١)

(١) قال أبو عبد الرحمن: هذه من الشعر العامي على بحر الطويل .. يقيمون وزنه بالفناء أو الدُّيونة؛ فيضطرون



حرمني لذيد النوم ترجيع صوته
 واجبته بدمع بالعيون هميع^(١)
 ناديتهن يالورق بسك من الغنى
 لعلك تبكى يا حمام فجميع
 تبكي وليف لك وتلقى سواته
 من تب سواتي يا حمام وجيع^(٢)
 بعيد عن الأوطان في دار غربة
 أمسي وأصبح ما أشوف ربيع
 أبكي على ربع عفاف وأهل نقى
 ذبحوا بلياً شافع وشفيع
 أبكي على ربع بمصر تشتتوا
 فهد وسعد والعيال جميع
 وحسن وعبدالله وفهد وخالد
 وباقي آل مقرن لو يكون رضيع

للفصيح تارة وللعامي تارة حسب اللحن ووزنه، والشطر الأخير منكسر كسراً فاحشاً، ويستقيم مثلاً هكذا: (إلى
 جا الغنا يشتاقي مَنْ هَوَوليع) .. وجمهور الشعر العامي ذي القافية الواحدة سُجِّلَ مَكْسُراً؛ فتعديله بإضافة كثيرة
 مُجَافاةً للأمانة في النقل، وقبوله على عِلَاتِهِ يُؤْذِي السمع؛ لهذا ألفت النظر إلى هذه الظاهرة وحسب .. وأما ما
 كان وجه تعديله ظاهراً، أو عليه دلالة من السياق فواجب إقامة وزنه.
 (١) قال أبو عبد الرحمن: في هذا البيت مثال للظاهرة التي أسلفتها في التعليقة السابقة من تُصَرِّفهم في النطق
 حسب الوزن على هذا النحو: صوتي .. بالعيوني .. ومثل هذا الشعر ذي القافية الواحدة يُقَام وزنه بالغناء
 المعهود لكل وزن، وما دامت هذه القصيدة من البحر الطويل فَيُقَام وزنها بمثل اللحن المعروف لقول سليمان ابن
 شريم: (سرى البارقي اللي له زمانين ماسرى).
 (٢) أي ما أنت بمثلي.

يا عين فابكيهم على ذا وزيدي
وشيوخنا اللي للضيوف ربيع
وابكي على عوجا ربينا بربعها
صغار كبار نشتري ونبيع
للجن ميدان تطارد بركنها
مَغِير جدران كذا وسفيح
ما كن فيها صار للحكم منصى
ولا بني حصن في الطريف رفيع
ولا شدت الركبان منها لغيرها
ولا بَرَكْت فيها الطروش قطيع
ولا بني فيها للعلوم مدارس
ومساجد يأتونها جميع
ولا عَجَت الأسواق بالبيع والشرى
ولا موسم فيه العقول تضيع
ولا درج بأسواقها خردالمها
من كل عذرا كالغزال تليع
دار إلى جاها الغريب يوالف
جنابها للمحلىين ربيع
تفكرت فيما صاب ربعي وديرتي
ولا نيب من صرف النيا بجزيع



خوف من العيلات والمال والدماء
 ومحرم عقب الدلال تضييع^(١)
 ولو الجدا يا دار خذلان مرة
 صبرت مير الشق فيك وسيع
 إلى صاح صيَّاحٍ نقلنا سلاحنا
 يم الرفايع فازعين جميع^(٢)
 ياما قتل منا صبيٍّ مجوِّخٍ
 وبالترك ناخذ للقضا سريع
 وياما سفكنا فيك من ساخن الدماء
 وياما وطننا بالمداس صريع
 وياما انجلى عن روسنا فيك غبوة
 لكنها غيم السحاب نقيع
 ذبحت بالمدفع ثمانين لحية
 وأخذت واجبها بلا مبيع
 أيضا وعلى هذا ثلاثين شاهد
 وهرج بليا شاهد يضيع
 غدت لنا كالأم وحننا عيالها
 وسور لها دون العداة منيع
 قعدت اساييلها ودمعي ودمعها
 على الخد يجري والفضؤاد يميع

(١) قال أبو عبد الرحمن: يستقيم هكذا: وَمَعَ مَحْرَمٍ عَقِبَ الدَّلَالِ تَضْيِيعٌ.

(٢) قال أبو عبد الرحمن: لا بد من واو قبل (يم).

فإن طابت الأيام والقدر سابق
فسور ما ناوي إليك رجيع
وان حالت الأقدار بيني وبينك
فودعتك المولى خيار وديع
بكيت حولك عبرة بعد عبرة
كما صاح من حر الفطام رضيع
اللي تردوا فيك واللي تخاذلوا
رزي لهم ثوب السواد جميع
خانوا وهذا فعلهم في عمارهم
وعقوبة الله للعصاة سريع
ذي دعوة مظلوم على غير موجب
عنها غفلنا والإله سميع
وخيار ما قلنا ويقول غيرنا
صلوا على من للعباد شفيع

قال أبو عبدالرحمن: هذه القصيدة من الشعر العامي القريب من الفصحى، وقد أوردها الشيخ محمد بن يحيى رحمه الله، كما أورد له قصيدة يائية لعلها تتأخ فرصة لدراستها .. وندائي لمثقي الدرعية المدينة أن يُثروا ما بدأه غيرهم من التراجم والبحوث البلدانية والتاريخ والشعر والعلم والوثائق وما كتبه الرحالون: بالإضافة، والاستدراك والتصحيح .. مع ضرورة العناية بالأعمال الببليوجرافية .
وقال الأستاذ ابن خميس: «ومن قصائدهم إبان حربهم مع الغزاة الطفاة هذه القصيدة الحربية لعبدالله بن خالد من أهل الدرعية:



لابتي عز الديار الخيفة
كم لطمنا دونها من قشر
كم وليف نضرقه من وليفه
لي تحزمننا بصنع الكفر
هاضني بعواه ذيب الرديفه
شايف سرحان عسكر مصر
شبع العرجا طري وجيفة
والسباع الحايمة والنسر
ارُس يا غرس بوادي حنيضة
لا تززعز يوم جاك النذر
بالمطارق والسيوف الرهيفة
سالت العوجا بدم حمر
ومما ينسب الى بعض شعرائها قوله:

يا ديرة بالعرض ما هي قراح
ياما بها من مدمج الساق مياح
قبلها خاشرو ذيك الياح
وشرقياها بالوصف رجم ابن طلفاح

ومما قال شاعرها ناصر العرينى من قصيدة له:

في ديرة تدقم شبابة السنان
اللى غدت بالطايلة وأم الأوطان

يرهب خبرها محكمين المباني

يما ذبح في جالها كل سلطان

وهذه قصيدة لي حربية قتلها بمناسبة جذب أصاب الدرعية ورنق صفوها وأيبس
أخضرها:

سلام يادار تربع في مفيض الوصيل

نخوة بني مقرن هل العادات تعزى لها

دار الشرف والمرجلة والمجد عز النزيل

لا جابوا درقالة فانشد عن رجالها

يادار قولتي وين صاف الما وهدب النخيل

اللي تعطف شرد الله الغزلان بظلالها

وين المغاني والمباني والنسيم العليل

وين الرجال اللي عرفنا تحتمي جالها

جدواي لا مني مررت الدار دمعي يسيل

وأقول مما في ضميري آه عزالها

حلفت بالله يا بلادي ما نبي بك بديل

لو كان دار يجتنى الياقوت بسهالها

يالله ياللي لاعطا مهوب مده قليل

طالبك يا منزل بلاها تلطف بحالها

عساك يا وادي حنيفة كل يوم تسيل

تحمي بلاد جدد الاسلام بقذالها^(١)

(١) قال أبو عبدالرحمن: شيخنا عبدالله ابن خميس شاعر فحل، ولكن هذه القصيدة باردة لحناً فقيرة معنى وخيالاً أدبياً.



وهذه قصيدة حربية أيضاً قلّتها بمناسبة الدعوة التي وجهها لي شباب الدرعية في وادي غبيرة سنة ١٣٩٦هـ:

دار ياللي في اليمامة لها مجد منيف
عطرت بالورد دنيا الوجود أيامها
انشد التاريخ ينبيك عن حكم الطريف
والبريمي وايمين الشام عن حكاهما
نصرة المضيوم والعدل والدين الحنيف
ما تهقواها بغالي الثمن سوامها
سم ساعة للمعادي وللملهوف ريف
وان تلظت قالة الحرب هم قدامها
كم حريب من وَخَمَهُمْ تَجَنَّبَهُمْ معيف
جَنَّبُوهُ الغوش عن حقوة له رامها
حنا هل العوجا وحنا منزحة الحفيف
يشهد الله يوم تروي الرجال أعلامها
كم هنوف تلطم الخد من عقب الوليف
من فعل ربعي جداها تعض ابهامها
هيه يا منبوزة الردف والوسط الصخيف
ماتنوش من الوطا الا بروس أقدامها
خدها ريان كالورد والمبسم صفيف
والعيون اللي تبوج القلوب سهامها

زودي ربعي هل الطائلة فنجال كيف
رايب البن المعطر يخضب جامها
واهصري قدامهم ناعم الجسم اللطيف
واسمع قول العرب لعنبوا من لامها
وهذه قصيدة للشاعر عبدالرحمن بن صفيان من الدرعية يقول فيها:
يا دار وين أهل الشجاعة والاختيار
اللي تفانوا دون عرضك وغاليك
لطامة العايل وشبابة النار
شيب وشبان تحبك وتغليك
وين الملوك اللي على قب الأمهار
العاديات الضاحكات المعاريك
وطوا بها حممر الطرايش تكرار
تسحب جنايزهم على جال واديك
وين العيال اللي يهزون الأشعار
ذبحوا من أجلك يومهم مارضوا فيك
هل كلمة التوحيد في سر واجهار
حاموا عليها لين دفنوا بحاميك
يوم العذارى اللي كما فلق جمار
تنخى هل العوجا وتنذب عزاويك
تخاف من جهد البلا مثل ما صار
تبلى السراير يوم قلّت عناويك



وطال الحصار وخانوا أعوان الاشرار
وقضت ذخيرتهم ولا فرطوا فيك
ولنا الشرف فيما تبقي من الآثار
ولو لا الدول تخشاك ما كان تغزيك
عليك طوق أخضر اللون وثمار
يفرح بها الجايح إلى جاك عانيك
يا ام الملوك اللي خذوا فيك للثار
عبدالعزيز اللي بسيفه رجع فيك
حر كفخ من قصر دسمان باحرار
ذبح عاشيقك وحل ونزل فيك
وأرث حرار من صواريخ سنجار
هم مثل أبوهم دون شك وتشكيك
وابن خميس أدينا ابنك البار
ذكر بتاريخه لنا اللي حصل فيك
وأنا من اعيالك محب ومغوار
من أهل البحيري مسقط الرأس حاميك
وختامها صلوا على سيد الأبرار
اللي تفانوا دون عرضك وغاليك»^(١)

وقال الأستاذ محمد الفهد العيسى: «لا نجد اسم الدرعية في شيء من الكتب القديمة التي بين أيدينا، وأقدم ذكر لهذا الاسم نجده في مؤلفات أناس من القرن الحادي عشر

(١) الدرعية، ص ٤٣٦ - ٤٥٢.

الهجري فما بعده.. وليس معنى هذا أن بلدة الدرعية لم تنشأ إلا بعد ذلك الزمن؛ لأن من ذكرها من المؤرخين المتأخرين يربط زمن إنشائها باسم ابن درع جد الأسرة السعودية الكريمة، ويربطه بزمن لا يتقدم على ستة قرون من عهدنا الحاضر .. أي في منتصف القرن التاسع الهجري.

ولكن الذي نراه هو أن بلدة الدرعية أقدم من ذلك العهد بكثير، بخلاف اسم الدرعية؛ فلا شك أنه حدث، ومما يؤيد قولنا:

١ - أن وادي العَرَضِ عَرَضُ بني حنيفة كان في الزمن القديم على درجة من الخصب، ووفرة المزروعات فيه، وكثرة السكان، وانتشار القرى من أعلاه إلى أسفله .. على درجة عظيمة من كل ذلك، وتوالي القحط والجفاف نضبت مياهه، وقل سكانه .

٢ - أن موقع بلدة الدرعية في مكان من الوادي من خير الأمكنة، سعة وخصباً وصلاًحاً للاستيطان؛ فإن الوادي عندما يقبل على موقع الدرعية ينفرش، وتتقابل معه من الغرب ومن الشمال أودية، وتتكون بينها مرتفعات من (الطمي) الطين الذي تجرفه السيول؛ فيكون في جوانب الوادي مرتفعات صالحة للزراعة، ويشاهد المرء آثار الحدائق والمزارع الدائرة كثيراً بقرب الدرعية وبين مواقع نخيلها في الوقت الحاضر .

٣ - لو رجعنا إلى كتب الجغرافية القديمة، لوجدنا أسماء كثيرة من القرى الواقعة في ذلك الوادي، وقد درست وجهلت، ونجد فيما نقرأ كثيراً من الأسماء فيما بين منفوحة والعمارية، ولا شك أن موقع الدرعية كان في القديم موضعاً لإحدى تلك القرى. ولنستعرض مما بين أيدينا من الكتب كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني، وهو يعدد أسماء قرى الوادي، محاولاً ترتيبها، وهو وإن كان يمينياً بعيداً عن تلك البلاد إلا أنه ينقل عن رجل نجدي هو أبو مالك أحمد بن سهل بن صباح اليشكري، وبنو يشكر كانوا يسكنون في العرض عرض حنيفة، ويسكنون في وادي ملهم، وها هي ذي أسماء القرى الواقعة في العرض بحسب ترتيب الهمداني:



- ١ - الْقَرْيُ .
- ٢ - الْقَلْسَتَيْنِ .
- ٣ - الْمَصَانِعِ .
- ٤ - الْكِرْسِ .
- ٥ - مَنْفُوحَتَانِ - «الْمَنَافِيحُ» - مَنْفُوحَةٌ .
- ٦ - مَحَرَّقَةٌ وَتُسَمَّى (الْبَادِيَةِ) .
- ٧ - وَبَّرَةٌ .
- ٨ - الْعَوَّقَةُ وَصَوَابُهَا: عِرْقَةٌ .
- ٩ - غَبْرَاءُ .
- ١٠ - مَهْشَمَةٌ .
- ١١ - الْعِمَارِيَّةُ .
- ١٢ - فَيْشَانُ .
- ١٣ - الرُّوْضَةُ وَتُسَمَّى حَزْنَةٌ .
- ١٤ - النَّقَبُ .
- ١٥ - أَبَاضُ .
- ١٦ - الْجَعَادُ .
- ١٧ - عَقْرِبَاءُ .
- ١٨ - الْعَيْنُ .

هذه القرى الواقعة في أعلى العرض، لم يبق منها معروفاً الآن سوى المصانع، ومنفوحة، وعرقه، والعمارية، وعقرباء، والعين .
ولكننا عندما ننظر في هذه الأسماء على ترتيبها نجد (غبراء) اسم قرية فوق عرقه،



وقبل العمارة، ونجد الآن في الوادي في أعلى الدرعية وادياً يدعى شعيب غبراء في مفيضه بوادي العرض نخيل كثير وآثار مساكن قديمة .

ويقرب هذا الوادي تقع محلة من محلات الدرعية تسمى الآن العودة . وأهل نجد يطلقون اسم العود والعودة على القديم، وكثيراً ما يطلقون اسم العودة على البلدة القديمة فيقولون: عودة سدير، ويعنون بلدة من أقدم بلدانه، ويقولون: العود من مدينة الرياض، ويقصدون به قصراً من قصورها القديمة .

من هذا نرى أن بلدة الدرعية كان يطلق عليها قديماً اسم غبراء، ثم أصبحت فيما بعد تعرف بالعودة، وترك الاسم القديم؛ لأن مدلوله عند أهل نجد غير مستحسن. وبعد أن استقر ابن درع في المكان الذي منحه إياه ابن عمه - على ما سيأتي تفصيله - أنشأ موضعاً غرس فيه نخلاً، وبنى فيه بيوتاً، فصار يعرف بالدرعية نسبة إلى ابن درع، وكان في القديم محلة من المحلات التابعة لبلدة غبراء، التي عرفت فيما بعد باسم العودة، ثم عودة الدرعية، ثم الدرعية .

وفهم عن كلام المتقدمين أن غبراء هذه كانت على درجة من القوة عندما غزا الجيش الإسلامي اليمامة؛ فإننا نجدها من بين القرى التي لم تدخل في صلح خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما صالح أهل الوادي كما ذكر ذلك ياقوت في معجم البلدان . ولا نجد فيما بين أيدينا من الكتب تفصيلات، أو حتى إشارات تتعلق بتاريخ هذه البلدة كغيرها من بلدان نجد العريقة في القدم .

وكل ما لدينا من المعلومات لا يتجاوز القرن العاشر الهجري، وكله يتعلق بهذه البلدة بعد أن أصبحت تعرف بالدرعية^(١) .

وقال: «أي إن اسم الدرعية لم يطلق على البلدة إلا بعد استيطان مانع بن ربيعة وبنيه،

(١) الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، ص ٢٢ - ٣٦.

وفي الموضوعين المسميين منها المليبيد وغصيبة؛ ومن هنا أطلق اسم الدرعية؛ لأن مانعاً قدم من بلدة تعرف بهذا الاسم من نواحي القطيف .
وإذا أردنا أن نحلل هذا الخبر لنصل إلى حقائق يطمئن إليها القارئ؛ فإنه لا مندوحة لنا من:

١ - التحقق من موضع يسمى الدرعية في جهات القطيف .

٢ - الصلة بين سكان الجهة وسكان وادي حنيفة .

أما الأمر الأول: فإننا نجد اسم الدرعية في تلك الناحية من جهات القطيف، ولكنها ليست بلدة الآن، وإنما هي مكان فيه آثار نخل وفيه ماء قديم، ثم حفر فيه حديثاً بئر بآلة الحفر الحديثة، وتقع الدرعية هذه جنوب بقيق، وغرب الظهران بميل نحو الجنوب، وتبعد عن بقيق بما يقرب من عشرين ميلاً (اثنتين وثلاثين كيلاً).

وإذن فما ذكره المتقدمون كابن بشر وابن عيسى وقبلهما الفاخري له وجه من الصحة .

ومما ينبغي ملاحظته أن أقدم من ذكر خبر قدوم مانع بن ربيعة إلى هذه البلاد هو الشيخ محمد بن عمر الفاخري في تاريخه الذي نقل جل ما فيه الشيخان ابن بشر وابن عيسى .. والفاخري ولد في بلدة التويم في إقليم سدير سنة ١١٨٦ هـ، وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ.

ونأتي إلى الناحية الثانية وهي صلة أهل هذه البلاد بسكان الجهات الشرقية (الدرعية الواقعة في المنطقة الشرقية ونواحيها) .. لا شك أن الصلة كانت موجودة، بل وثيقة أيضاً؛ ذلك أن سكان وادي حنيفة كلهم من ربيعة ما عدا من حالفهم فدخل فيهم، وأصبح يعد منهم، وقد استوطن قسم كبير منها تلك النواحي من المنطقة الشرقية كعبد القيس وغيرهم من القبائل، يضاف إلى هذا أن قبيلة عنزة التي سكنت وادي حنيفة قبل بني حنيفة أنفسهم، ثم حالفتهم فيما بعد وصاهرتهم وجاورتهم:

كان قسم منها وقسم أيضاً من بني قيس بن ثعلبة عم بني حنيفة .. كانوا يسكنون في
الأمكنة الواقعة بقرب الدرعية.

ونجد ياقوتا يقول في «معجم البلدان»: ركية لقمان هو لقمان بن عاد وهي ركية
بثاج، قريب من البحرين، بين البحرين واليمامة كانت لبني قيس بن ثعلبة، ولعنزة؛
فغلبت عليها بنو سعد، وهي مطوية بحجارة .. الحجر أكبر من ذراعين .. قال الفرزدق:

ولولا الحياء زدت رأسك هزمة

إذا سبرت ظلت جوانبها تغلي

بعيدة أطراف الصدوع كأنها

ركية لقمان الشبيهة بالدحل

وثاج هذا الذي فيه الركية لا يبعد عن الدرعية الشرقية بأكثر من سبعين ميلاً،
ويذكر البكري في «معجم ما استعجم» أن عنزة مع قبائل أخرى من ربيعة كانت تحل في
(البثاج)، وهو مكان متصل بتلك الجهات يقع غربها في الطريق المتجه إلى البصرة .
وهو غير بئاج ابن عامر؛ فهذا في القصيم، ويعرف الآن باسم الأسياح؛ إذن فإن قبائل
ربيعة انتشرت في شرق الجزيرة، فقسم منها استوطن العرض عرض بني حنيفة، وقسم
منها انتشر فيما يعرف قديماً باسم البحرين وحديثاً باسم الأحساء ثم المنطقة الشرقية.
ولا شك أن الصلة بين قبائل ربيعة الساكنة في شرق البلاد وفي وسطها كانت قوية
كعادة القبائل العربية .

لا ندري علام عوّل الفاخري حينما نقل لنا خبر انتقال مانع بن ربيعة ؟ .. ولكن من
المعروف أن بعض علماء نجد كتبوا كتابات تاريخية لم تصل إلينا كاملة، مثل الشيخ ابن
بسام والشيخ المنقور وغيرهما .. يضاف إلى هذا أن كل أهل قرية من قرى نجد في
العهد الحاضر يحفظون من أخبار نشوء بلدتهم وانتقال سكانها أشياء لا نجدها



مدونة؛ ولهذا فلا يستبعد أن يكون الفاخري أو من نقل عنه الفاخري نقل الخبر عما هو متداول ومعروف بين سكان الدرعية القدماء أنفسهم.

جاور مانع وبنوه أقاربهم الحنفيين من سكان الوادي؛ فكان جيرانهم من الجهة الغربية الشمالية آل يزيد الحنفيين الذين من بقاياهم آل دغيثر .

ومن الجهة الجنوبية الشرقية، وهي أسفل الوادي أبناء عمهم آل درع أصحاب حجر والجزعة .

أما أعلى الوادي من الجبيلة إلى حريملاء فهو لآل معمر التميميين .

ولا نستطيع أن نصل من أخبار تلك الحقبة البعيدة عنا من منتصف القرن التاسع الهجري حتى منتصف القرن الحادي عشر إلى ما يتطلع إليه المؤرخ ويستفيد منه الباحث من معلومات، ولكننا اعتماداً على ابن بشر وابن عيسى نعلم أن بني ربيعة كثروا وانتشروا، وصاروا يتوسعون في البلاد المجاورة لهم حتى كان لهم اسم وذكر، ولا سيما في القرن الحادي عشر الهجري؛ حيث نجد ابن بشر يذكر أنه في سنة ١٠٢٩ هـ حج مقرن وربيعه ابنا مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع، والعناية بتسجيل خبر حجها تدل على شهرتهما في ذلك الوقت .

ثم نجد أنه في سنة ١٠٦٥ هـ - على ما يروي الفاخري وابن بشر - قام وطبان ابن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة، فاستولى على غصيبة .. ونجد نصاً في تاريخ ابن عيسى يقول فيه: «كانت ولاية الدرعية قبل سنة ١١٢٩ هـ لذرية وطبان، وأما آل مقرن فلهم غصيبة» .

وفي سنة ١١٢٩ هـ استقل محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بولاية الدرعية كلها ومعها غصيبة، هذا كلام ابن بشر .

وقبل هذا لا نجد إلا تنقاً من الأخبار هي على إيجازها لا تخلو من تضارب، نجملها فيما يلي:

١٠٨٤هـ - قتل أمير الدرعية ناصر بن محمد وأحمد بن وطبان .. كذا في تاريخ ابن بشر
٧٠/١ .

١٠٩٦هـ - سار سعود بن محمد أمير الدرعية مع عبدالله بن معمر لغزو حريملاء
[الفاخري وابن بشر] .

١٠٩٨هـ - سار أهل بلد حريملاء ومعهم محمد بن مقرن صاحب الدرعية، وزامل ابن
عثمان، وتوجهوا إلى بلد سدوس وهدموا قصره وخربوه [الفاخري وابن بشر] .

١١٠٦هـ - توفى محمد بن مقرن بن مرخان صاحب الدرعية [ابن بشر] .

١١٠٧هـ - قتل إدريس بن وطبان صاحب الدرعية، قتله يحيى بن سلامة أبا زرعة، وملكها
سلطان بن حمد القبس [الفاخري وابن بشر وابن عيسى] .

١١٢٠هـ - قتل سلطان بن حمد القبس رئيس الدرعية، وتولى بعده أخوه عبدالله ثم قتل
[ابن بشر] .

١١٢١هـ - تولى في الدرعية موسى بن ربيعة بن وطبان [ابن بشر وابن عيسى] .

١١٢٧هـ - مات رئيس الدرعية سعود بن محمد بن مقرن وتولى فيها زيد بن مرخان .

١١٢٩هـ - قتل ابن معمر زيد بن مرخان [الفاخري وابن بشر] .

١١٢٩هـ - قتل موسى بن ربيعة بن موسى، وكان قد شاخ في الدرعية، [كذا عبر ابن بشر ..
أي صار شيخاً لها أي حاكماً] .

من هذه الأخبار المقتضبة نرى أن الدرعية يتداول إمارتها آل وطبان وآل مقرن، وفي
حقبة قصيرة هي من سنة ١١٠٧ إلى سنة ١١٢١هـ تولى إمارتها اثنان ليسا من الأسرتين
المذكورتين هما سلطان بن حمد القبس وأخوه عبدالله .

ونحن وإن كنا نهمل هذين الرجلين لكننا لا نتفق مع الشيخ عبدالله فيلبي الذي يرى
أنهما من بني خالد استنتاجاً من أن أمراء الأحساء كانوا من هؤلاء؛ لأننا نرى أن نفوذ



أمرأء الأحساء لم يتغلغل في بلاد نجد بدرجة أنهم يولون في القرى من يريدون توليته»^(١).
قال أبو عبد الرحمن: وهذه عودة إلى المعاني اللغوية .. قال الزبيدي: «وقال ابن عباد:
الدَّرْعِيَّةُ بالكسر من النصال النافذة في الدرع، ج: دراعيٌّ .
وذو الدروع فُرْعَانُ الكنديُّ من بلحارث بن عمرو .. نقله الصاغانى .
والمدرعة كمكنسة ثوب كالدرّاعة ولا يكون إلا من صوف خاصة .. قاله الليث، وقيل:
الدراعة جبة مشقوقة المقدم، وأنشد أبو ليلى لبعض الأعراب:

يوم لخلاقي ويوم للمال

مشمراً يوماً ويوماً ذيال

مدرعة يوماً ويوماً سربال

ومنه حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: فوضأته وعليه مدرعة ضيقة الكم، فأخرج
يده من تحت المدرعة فتوضأ .

وفي الصحاح: وتدرع لبس الدرع والمدرعة أيضاً .

وربما قالوا: تمدرع إذا لبسه .. أي المدرعة، كما هو نص الصحاح، والمصنف أعاد
الضمير إلى الثوب، ثم قال: وهي لغة ضعيفة، وسيأتي للمصنف في آخر المادة.

وقال الخليل: فرقوا بين أسماء الدرع والدراعة لاختلافها في الصفة؛ إرادة إيجاز في
المنطق، وتدرع مدرعته أدّرعها، وتمدّرعها تحملوا ما في بقية الزائد مع الأصل في حال
الاشتقاق توفيقاً للمعنى، حراسة له، ودلالة عليه .. ألا ترى أنهم إذا قالوا: تمدرع - وإن
كانت أقوى اللغتين - فقد عرّضوا بأنفسهم؛ لئلا يعرف غرضهم: أمن الدرع هو، أم من

(١) الدرعية للعيسى، ص ٢٨ - ٤٢، وكتب عن الدرعية الدكتور محمد بن سعد الشويمير في مجلة الدائرة / السنة

٢٢ / العدد ٤ ص ٥ - ٢٥، والدكتور محمد عبد الله السلطان بمجلة الحرس الوطني عدد جمادى الآخرة سنة

١٤١٠هـ ص ٢٨ - ٢٩، ولأبو نهية قصيدة حاثية في رثاء الدرعية في مجموع الدخيل، وستتاح فرصة لتحقيقها إن

شاء الله.

المدرعة .. وهذا دليل على حرمة الزائد في الكلمة عندهم؛ حتى أقروه إقرار الأصول، ومثله تمسكن وتمسلم^(١).

والمدرعة صفة الرجل إذا بدا كذا في النسخ .. والصواب: بدت منها رؤوس المواصلة الأخيرة، ونص الأزهري: إذا بدا منها رأسا الوسط والآخرة.

والأدرع من الخيل والشاء: ما اسود رأسه وأبيض سائره، والأنثى درعاء، كما في الصحاح .. يقال: فرس أدرع .. إذا كان أبيض الرأس والعنق، وسائره أسود، وقيل بعكس ذلك، والهجين يقال له: إنه لمعلج، وإنه لأدرع، وقد تقدم ذلك في علج .

والأدرع والد حجر السلمي؛ نقله الصاغانى، وقال في حجر: إنه معروف وهو بضم فسكون.

(١) قال أبو عبد الرحمن: باستقراء حروف الهجاء، واستقراء الأوزان التي جاءت عليها مواد لغة العرب مثل مَفْعَالٍ واستَفْعَالٍ، وللعلم الاستقراء أن الكلمات ذات الحروف الثلاثة هي الأصل في الكلمات الزائدة على ذلك؛ وَجَدَ من حروف الهجاء السين المهملة والألف المهموزة واللام والتاء ذات الثنتين من فوق والميم والواو والنون والياء ذات الثنتين من تحت والهاء والألف الهاوية غير المهموزة (ألف المد والوصل) .. وَجَدَ أن هذه الحروف تكون أصولاً في الثلاثي وما فوقه وتكون هي الحروف التي انبنى عليها الكلام فيما فوق الثلاثي؛ فهذه الظاهرة سموها حروف الزيادة وجمعوها في قولهم: (سألتمونيها) وهي ليست زائدة في الحقيقة؛ لأن أوزان لغة العرب محفوظة عنهم بمعانيها وذلك بالاستقراء من لغتهم، وإنما توهموا زيادتها لما وجدوا بناء ما زاد على الثلاثي مركباً من هذه الحروف وغيرها؛ فجعلوا الحروف الأصلية ما كان ثابتاً في الثلاثي .. مثال ذلك (مَطَرٌ) تكون (أمطر) فالألف المهموزة عندهم هي الزائدة لأنها ليست في الثلاثي، وفوق ذلك (استفعل التي على وزنها استمطر) فصارت ألف الوصل والسين المهملة والتاء هي الحروف الزوائد عندهم، وكان الثابت في الثلاثي هي الأصول، وهي الميم والطاء والراء .. والواقع أن صفة استفعل لا زيادة في حروفها، ولها معانيها الخاصة بها بالاستقراء من لغة العرب، ولكن تحويل مادة (مَطَرٌ) إلى مادة استمطر لا يتم إلا بإضافة الحروف الموجودة في (استفعل)؛ فالزيادة توهم أو تقريب للفهم .. وليس بصحيح أن الأصل في الاشتقاق توفيه المعنى وإنما الأصل ما أراده المتكلم؛ فقد يريد التقليل لا التوفية فيصغر تحقيراً، ويقول عن القليل شُمامة لأن الفعل بضم الفاء تدل على هذا المعنى، وقد يريد توفية المعنى الذي يريده مثل ما جاء على صيغة فعلان بفتح الفاء كشبعان وملآن وندمان؛ فندمان لدلالاتها على الكثرة أفادت أنه امتلاً خياله وحافظته بما يحيي به الليالي الطويلة في المنادمة.



وفاته الأسفع بن الأدرع في همدان ذكره الحافظ.

والأدرع لقب أبي جعفر محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الكوفي الرئيس بها؛ قيل: لقب به لأنه كانت له أدرع كثيرة، وقال تاج الدين بن معية: لأنه قتل أسداً أدرع . مات بالكوفة ودفن بالكناسة، وأبوه كان أميراً بالكوفة من قبل المأمون، وأخوه أبو الحسن علي بن عبيد الله الملقب بباعز، قد تقدم ذكره في ب ع ز، وولده محمد بن علي بن عبيد الله، تقدم ذكره أيضاً في ق ذ ر ذكرهما الحافظ في التبصير، وإليه ينسب الأدرعيون من العلوية الحسنية بالكوفة وخراسان وما وراء النهر، وغيرها من بلدان شتى .. أعقب من ولده أبي علي عبيد الله وأبي محمد القاسم وأبي عبيد الله محمد، ولكل هؤلاء أعقاب ذكرناها في المشجرات .

والدَّرْعُ محرّكة بياض في صدر الشاء ونحرها، وسواد في فخذها نقله الليث، وهي درعاء .. أي الشاة والفرس، وقيل: شاة درعاء، سوداء الجسد بياض الرأس، وقيل: هي السوداء العنق والرأس وسائرهما أبيض، وقال أبو زيد في شيات الغنم من الضأن: إذا اسودّت العنق من النعجة فهي درعاء .. وقال أبو سعيد: شاة درعاء مختلفة اللون .. وقال ابن شُمَيْل: الدرعاء السوداء غير أن عنقها أبيض، والحمراء وعنقها أبيض؛ فتلك الدرعاء، وإن ابيضّ رأسها مع عنقها فهي درعاء أيضاً .. قال الأزهري: والقول ما قال أبو زيد؛ سُمِّيَتْ درعاء إذا اسود مُقَدَّمُهَا تشبيهاً بالليالي الدَّرْعِ.

وليلة درعاء يطلع قمرها عند وجه الصبح وسائرهما أسود مظلم يشبه بذلك، وليالٍ دُرْعٌ بالضم فالسكون على القياس؛ لأن واحدتها درعاء كما في الصحاح، ودرع كصرد على غير قياس، عن أبي عبيدة .. قال أبو حاتم: ولم أسمع ذلك من غيره للثلاث التي تلي البياض كما في الصحاح.

قال الأصمعي في ليالي الشهر بعد الليالي البيض ثلاث درع مثل صُرْدٍ، وكذلك قال أبو عبيدة، غير أنه قال: القياس دُرْعُ جمع درعاء، وروى المنذري عن أبي الهيثم: وثلاث ظُلْمَ جمع درعة وظلمة لا جمع درعاء وظلماء، قال الأزهري: وهذا صحيح وهو القياس.

وقال ابن بري: إنما جمعت درعاءً على دُرْعٍ إتياعاً لظلم في قولهم: ثلاث ظلم، وثلاث درع، ولم نسمع أن فعلاء جمعه على فعل إلا درعاء، ثم قوله: تلي البيض.. المراد بها ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة؛ لاسوداد أوائلها وابتضاض سائرها .. لم يختلف فيها قول الأصمعي وأبي زيد وابن شميل، وقيل: هي الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة؛ وذلك لأن بعضها أسود وبعضها أبيض.

وقال أبو عبيدة: الدرع هي السود الصدور البيض الأعجاز من آخر الشهر، والبيض الصدور السود الأعجاز من أول الشهر.

وقال ابن عباد: درع النخل كَصُرْدٍ ما اكتسى اللِّيف من الجُمَّار .. الواحدة درعة بالضم نقله الصاغاني.

وبنو الدرعاء بالفتح مع المد قبيلة من العرب نقله ابن دريد في الجمهرة، وتبعه ابن سيده في المحكم، وهم حي من عدوان بن عمرو، وهم حلفاء في بني سهم من بني هذيل، وقال صاحب اللسان: ورأيت في حاشية نسخة من حواشي ابن بري الموثوق بها ما صورته: الذي في النسخة الصحيحة من أشعار الهذليين: الدُرْعَاءُ على وزن فُعَلَاء، وكذلك حكاه ابن التولية - في المقصور والممدود - بزال معجمة في أوله، وأظن ابن سيده تبع في ذكره هنا ابن دريد.

وقال ابن عباد: درع الشاة كمنع يدرعها درعاً سلخها من قبل عنقها .. قال: ودرع رقبتة أو يده إذا فسخها من المفصل من غير كسر.



وقال غيره: دَرْعَةٌ بالفتح بلد بالمغرب قرب سجلماسة أكثر تجارها اليهود، وإليها نسب أبو القاسم بن أحمد المدعو بلغازي الغيلالي الدرعي المتوفى سنة تسعمئة وإحدى وخمسين.. ومنهم الإمام الزاهد أبو النوال محمد بن محمد بن عمر بن ناسر الدرعي المتوفى سنة مئة وخمس وثمانين، وهو والد أبي الإقبال أحمد، وممن أخذ عن أبي الإقبال هذا شيوخ مشايخنا أبو العباس أحمد بن مصطفى بن أحمد المالكي، ومحمد بن منصور السفطي، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي وغيرهم، وهم بيت علم ورياسة. وَدُرَيْعَةٌ كجهينة باليمن.

ودريعاء كحميراء بزييد حرسها الله تعالى نقله الصاغانى^(١). وقال في المستدرک: «وَدَرَّعُ الْخَوْلَانِيَّ بِالْفَتْحِ مَوْضِعٌ .. الصُّنَابِحِيُّ وَغَيْرُهُ، وَالْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ يَحْيَى بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ دَرَعٍ التَّقْلِبِيِّ التَّكْرِيتِيِّ بِالْكَسْرِ .. مَاتَ سَنَةَ سِتْمِئَةٍ وَسِتْ عَشْرَةٍ»^(٢).

وقال الزمخشري: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمَرْتُ بِهَذَا الْبَيْتِ فَسُفِّرَ .. وَكَانَ فِي بَيْتٍ فِيهِ أَهْبُ وَغَيْرُهَا .. وَرَوَى: فِي الْبَيْتِ أَهْبُ عَطْنُهُ، وَرَوَى: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَفِيقٌ.

السفر: الكنس، وأصله الكشف.

والمسفرة: المكنسة»^(٣).

قال أبو عبد الرحمن: كفى ما سلف بيانه من أن الأصل دروع الحديد، والله المستعان.

(١) تاج العروس ١٠٨/١١ - ١١٠.

(٢) تاج العروس ١١١/١١.

(٣) الفائق في غريب الحديث ١٨١/٢.